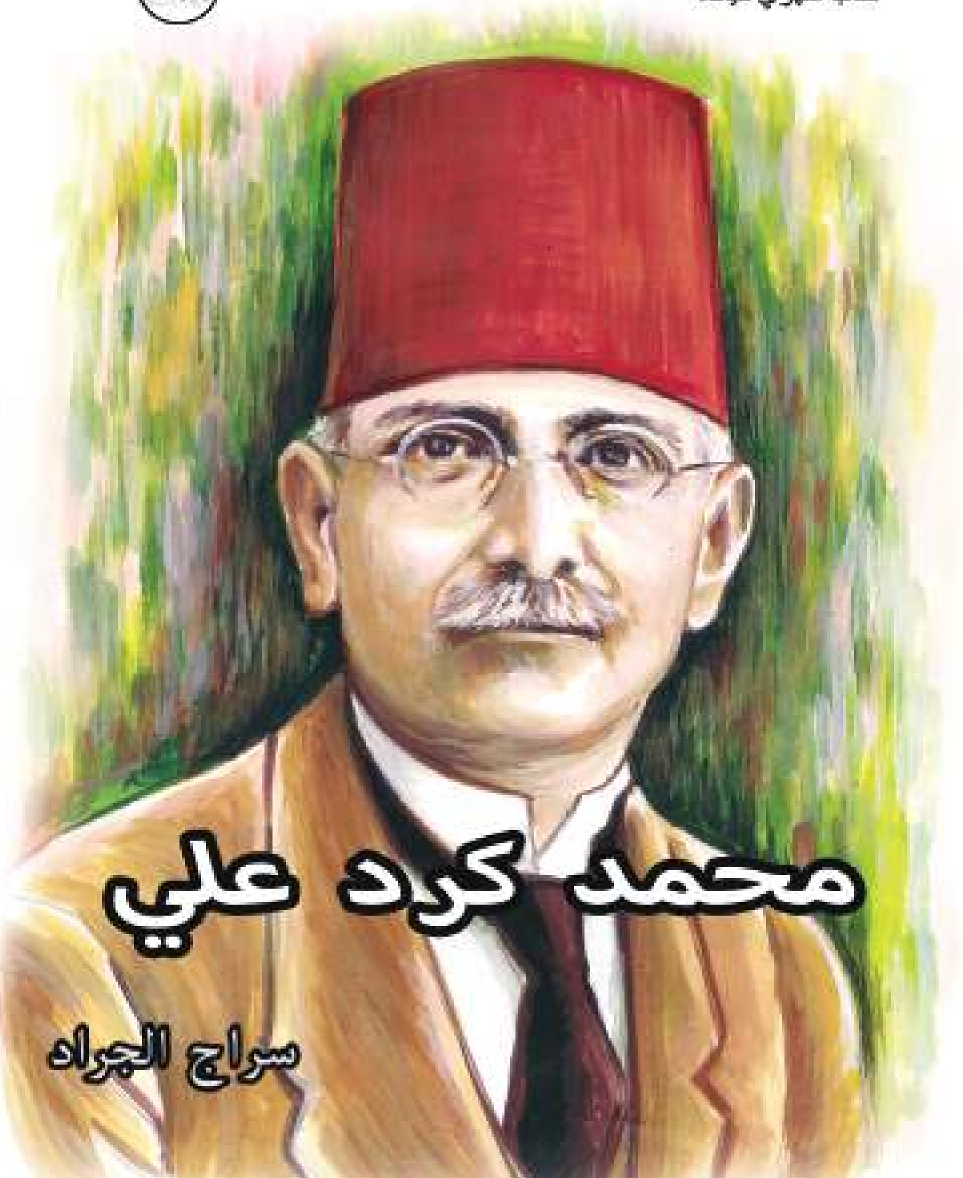
وزارة الثّقافة
الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب
كتاب شهري لليافعة

أعلام ومبدعون
٥٨



محمد كرد علي

سراج الجراد



رئيسُ مجلس الإدارة
وزيرةُ الثّقافة
الدكتورة لبانة مشوّح

الإشراف العامّ
المديرُ العامُّ للهيئة العامّة السّوريّة للكتاب
د. ثائر زين الدين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
قحطان بيرقدار

الإخراج الفني
حنان الباني

لوحة الغلاف
رامي الأشهب

الإشراف الطّباعي
أنس الحسن

علّامة الشام

محمد كرد علي

(١٨٧٦ - ١٩٥٣م)

سراج الجراد

الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب - مديريّة منشورات الطّفل
وزارة الثقافـــة - دمشق ٢٠٢٢م



المولدُ والنّشأة

كنتُ في المدرسة لـمّا دخلَتْ علينا المعلِّمة، وطلبَتْ إلينا أن ننتبهَ لها جيِّداً، وأخرجَتْ كُرّاساً صغيراً من حقيبتها، وراحت تكتبُ على السّبّورة بعض الأسماء، وطلبت إلينا أن نكتبَها على دفاترنا: «الشّاعر محمد الفُراتي، الشّاعر سليمان العيسى، الأديب محمد كرد علي، الشاعر نزار قبّاني، الأديب حنّا مينه».

ولـمّا فَرَغْنا بدأنا نسأل المعلِّمة عن هذه الأسماء:

– ما هذه الأسماء يا مُعلِّمتي؟

– إنَّها أسماء أدباء سوريين، وسنُنفِّذ نشاطاً لمادَّة اللغة العربيَّة لهذا الفصل الدّراسيّ، وهو مجلَّة حائط تُنفّذها مجموعةٌ من الطلَّاب بإشرافي. سننقسمُ إلى مجموعات، وسنكتب عن هؤلاء الأعلام.

قسَّمَتْنا المعلِّمةُ إلى خمس مجموعات، تضم كلُّ مجموعة

سبعة طلَّاب، واختيرَ مُشرفٌ على كلِّ مجموعة، وكنتُ مشرفاً على المجموعة الثّانية، وأجرت المعلمة القُرعة لتختارَ كلُّ مجموعة الأديبَ الذي ستكتبُ عنه، وكان من نصيب مجموعتنا الأديب محمد كرد علي.

لم أكن ومجموعتي نعرفُ شيئاً عن هذه الشّخصيَّة، لكنَّ المعلِّمة طلبَتْ إلينا أن نبدأَ بعمليَّة البحث في مصادر المعرفة من كتب وغيرها لاستخراج المعلومات الكافية والوافية حولَ الشخصيَّة.

وبعد عودتي إلى البيت، شرحتُ الموضوعَ لأبي، وطلبتُ إليه أن يُساعدني، فطلبَ إليّ أن أُحضر له كتاباً من مكتبته الخاصّة، يُسمّى «الأعلام» لمؤلِّفه خير الدين الزركلي، وبدأَ يبحثُ في الكتاب حتّى وجدَ المطلوب، وبدأَ يقرأُ لي:

«محمد فريد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، رئيسُ المجمع العلمي العربي بدمشق، ومؤسِّسُه، وصاحب مجلَّة الـمُقتبَس والمؤلَّفات الكثيرة، وأحدُ

كبار الكُتّاب. مولدُهُ ووفاتُهُ في دمشق (١٨٦٧-١٩٥٣م). تعلَّمَ في المدرسة الرشديَّة، وتُوفّي والدُهُ، وهو في الثّانية عشرة من عمره، فابتدأ حياته الاستقلاليَّة صغيراً، وأقبلَ على المطالعة والدروس الخاصّة، فأحسنَ التُّركيّة، والفرنسيَّة، وتذوَّق الفارسيّة، وحفظ أكثرَ شعر المتنبي، ومقامات الحريري، وتولّى تحرير جريدة الشّام الأسبوعيّة، وكان يلتزم السّجع في مقالاته».

وتابع والدي القراءة:

«وكتبَ في مجلَّة المقتطف خمس سنوات، ابتدأتْ بها شهرته، وزار مصر سنة ١٩٠١م، فتولّى تحرير جريدة الرّائد المصريّ عشرة شهور، ثم عاد إلى دمشق، ورُفعت إلى واليها التركيّ وشايةٌ به، ففُتِّشَ بيته، وظهرَتْ براءَتُه، وهاجر إلى مصر، فأنشأ مجلّة المُقتبس سنة ١٩٠٨م، وعملَ في التحرير في جريدتَي الظاهر والمُؤيَّد اليوميّتَين، وعاد بعد الدستور العثمانيّ سنة ١٩٠٨م إلى دمشق، فتابع إصدار مجلَّة المقتبس، وأضاف إليها

باسمها جريدة يوميَّة كانت قبل الحرب العامَّة الأولى مسرحاً لأقلام كبار الكُتّاب، واتَّهمه أحدُ ولاة التُّرك بالتَّعرُّض للعائلة السلطانيَّة في إحدى مقالاته، ففرَّ إلى مصر فأوروبا، وعاد مُبرّأً، وتكرَّر ذلك في تهمة أخرى، فترك الجريدة إلى أخيه أحمد أبي بسّام، وانقطع للمجلَّة».

– يبدو أنَّهُ شخصيَّةٌ علميَّة كبيرة يا أبي!

– نعم، يا بُنيّ! نشأ محمد كرد علي في أسرة كريمة، وتلقَّى تعليمه الأوليّ في مدرسة الحبَّال الخاصّة في حيّ القيمريّة، وقد تعلّم في الكُتّاب القراءة والكتابة، ثمَّ أتمَّ تعليمه الثّانويّ في المدرسة العازريَّة للراهبات بدمشق، وعلى الرغم من أنّه تعلّم الفرنسية في طفولته على يد مُدرِّس خاصّ إلّا أنه كان مُتعدِّد المواهب، مُحبّاً للعلم، عاشقاً للبحث.

– وماذا عن حبِّه للغة العربية واهتمامه بالمطالعة؟

– إنّ حبَّه للغة العربيَّة كان الأهمّ في حياته كلّها، فقد

كان يحب مطالعة الكتب، وفي هذه الفترة مالت نفسه إلى مطالعة الصحف، وقد ذكر ذلك في مذكّراته، إذ يقول عن تلك المرحلة:

«بدأتُ أقرأ في الجرائد العربيَّة في الثّالثة عشرة من عمري، وأنا في السنة الأخيرة من المدرسة الابتدائيّة، وبعد حين، اشتركتُ في جريدتين، وأُولعت بمطالعة جريدة لسان الحال، لأنَّ فيها أخباراً طريفة مغرية عن الإنكليزيّة، واشتركت لمّا كنت في المدرسة الثّانويّة في جريدة فرنسيّة أسبوعيّة تصدر في باريس اسمها صديق الريف، فكنت أقرؤها قراءةَ تدبُّر، لا قراءةَ تَفكُّه، وأطالع بعض الصحف التركيّة الصّادرة عن الأستانة، ولا سيّما المجلّات الأدبيّة والتاريخيّة، وقد أقرأُ بعض المقالات التي تروقني أكثر من مرَّة، ولا سيّما مقالات كبار الكُتّاب والمُفكّرين في السياسة والاجتماع، وما بلغتُ السّادسة عشرة، حتى أخذتُ أكتب أخباراً ومقالات في الجرائد».

- وهل وجدَ مَن يُعينُه على هذه الاهتمامات التي شغلته؟

- كان والده عوناً له في إشباع هذه الرغبة على الرغم من أمّيّته، إذ كان يساعده في اقتناء الكتب.

- ومن هم العلماء والمفكِّرون الذين التقاهم وتعرَّف إليهم؟

- في فترة شبابه، اتَّصل بعدد من علماء دمشق المعروفين ينهل من علمهم وأدبهم، ومنهم: «سليم البخاري، ومحمد المبارك، وطاهر الجزائري».

- وهل زار أديبُنا أوروبّا، وتعرَّفَ ثقافتَها ونهضتَها؟

- نعم، لـمّا كثرت الضغوطات عليه من كلِّ جانب بسبب جُرأته ونقده اللاذع، ولـمّا اشتدت عليه حملات المغرضين واتهامات أصحاب النفوذ والسّلطات، غادر دمشق سراً إلى فرنسا عام ١٩١٣م، وأقام فيها فترةً، فوقف على حركتها العلميَّة، والتقى بساستها ومفكِّريها، وقد كتب عن هذه الفترة (٣٥) مقالة نُشرت في كتابه

«غرائب الغرب»، وعن تلك المرحلة يقول: «طالعتُ بالفرنسيّة أهمّ ما كتبه فولتير، وروسو، ومونتسكيو، وبنتام، وسبنسر، ونوليه، وتين، ورنان، وسيمون، وتدارستُ المجلّات الفلسفيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة والأدبيّة باللغة الإفرنجيّة، وجريتُ منذ نشأتُ على قاعدة مطَّردة لم أتخلَّف عنها قيد شبر، وهي أن أقرأ أكثر ممّا أكتب، وقلّما دونتُ موضوعاً لم أدرسه في الجملة، ولم تتشرَّبْهُ نفسي». وزار أيضاً إيطاليا وسويسرا والمجر.

– ومن هم الذين تأثَّر بهم، وحاول نَقْلَ تُراثهم إلى اللغة العربية؟

– عرفَ كثيراً من أدباء فرنسا من أمثال: «فولتير، وروسو، ومونتسكيو، وبنتام، وسبنسر»، كما انتظم في مطالعة الدوريّات الفرنسيّة التي كانت تصل إلى دمشق.

– وما العلوم التي اهتمَّ بها؟

– اهتمَّ بكتب الأدب واللغة والبلاغة وعلم الاجتماع والتاريخ والفقه والتفسير والفلسفة.

- هل مارس التعليم في هذه الحياة الحافلة بالمعرفة والبحث والسفر؟

- نعم، أُسندَ إليه تدريس الآداب العربيّة في معهد الحقوق بدمشق عام ١٩٢٤م، وكان له الفضل الأكبر في تعليم الخطابة والإنشاء في هذا المعهد.

- هل تكفي هذه المعلومات لمجلة الحائط التي طلبَتْها المعلِّمة؟

- هذه نُبذةٌ بسيطة عن حياة أديب ومؤرِّخ وصحافيّ مثل محمد كرد علي، أمّا مجلة الحائط فإنني أقترح عليكم أن تجتمعوا، وتوزِّعوا الأدوار بينكم، كلّ طالب منكم يكتب عن جزء من حياة هذا العَلَم البارز.

- يبدو أنّني سأتفرَّد بهذه المجلة وبموضوعاتها. ما الموضوعات التي تقترح أن أكتبَ فيها؟

- الموضوع الأوَّل المهم هو عمله في الصحافة، وأنا سأزوِّدك بمعلوماته كوني أعمل في هذا المجال، ونشرتُ مقالات عدّة حوله بوصفه صحافيّاً. والجانب الثّاني

الـذي لا بـدّ مـن الإشـارة إليـه هـو رحلاتـه التـي قـام بهـا، فقـد حُبِّـب إليـه السَّـفر، وزار كثـيراً مـن بلـدان العـالم.

تدخَّلت أُختي سندس، وقالت لي:

هــذا الجانــب اتركــه لي. ســأمدُّك بمعلومــات كثــيرة، لأنني مهتمّــةٌ بالسّــياحة والســفر.

ثــمّ تابعَ أبي:

الجانــبُ الثّالــثُ هــو مؤلَّفاتــه وإنجازاتــه التــي ألّــفَــها، واشتُــهِــرَ بها.

ومــن فــوري نظــرتُ إلى أختــي الوســطى أســماء، طالبــة التّاريــخ في جامعــة دمشــق، فابتســمت، وقالــت:

ســأجمع لك فهرســاً كامــلاً بمؤلَّــفاته مــع مُلــخَّص مفيد حــول كلِّ كتــاب.

قال أبي:

علينــا ألا ننســى الجانــب الآخــر المهــمّ، وهــو تأسيســه للمجمع العلمــيّ العربــيّ بدمشــق الــذي كان نــواةً لمجامع

اللغـة العربيَّـة في الوطـن العـربي، وهنـاك جانـب آخـر، هـو مذكّراتـه التـي كتبهـا في أواخـر حياتـه. إنَّهـا مُـلـخَّص مهـم، ومرجـع مفيـد، وتأريـخ لتلـك المرحلـة المهمـة مـن حياتـه، وعليـك أن تشـير أيضاً إلى أهـمِّ ما قالَـهُ فيـه العلماءُ والأدبـاء الذيـن عـاصروه، فأقوالهـم فيـه وثائـق مهمـة.

- سـأبحث في الشّـابكة عـن أهـم الذيـن عـاصروه، وعرفـوه، وكتبـوا عنـه، وسـأُطلِعُك عـلى كلِّ مـا أجـده.

- أقـترح أيضـاً أن تُضمّـنَ المجلـةَ مقالـةً مـن مقالاتـه التـي تـدلُّ عـلى فكـره وعمـق رؤيتـه، ليتعـرّفَ القـارئُ هذا الرَّجُـلَ الـذي أفنـى حياتـه في سـبيل نهضـة أمّتـه والارتقـاء بهـا، فـإنَّ لـه كثـيراً مـن المقـالات المنشـورة في المجـلات العربيّـة والمحليّـة.

- شـكراً لـك يـا أبي! لقـد قدّمـت إلـيّ أفـكاراً مهمـةً جـداً.

محمد كرد علي صحافيّاً

كان أبي قـد تعهَّـد بـأن يجمـعَ لي مـادَّةً علميّـة عـن علّامـة الشـام محمـد كـرد عـلي، وعـن عملـه في الصّحافـة التـي تعلَّـق بهـا، وأحبّهـا حتّـى العشـق، فجمـع بينهـا وبـين الأدب، وكان في كليهـما مُـجلّياً، إذ كان هـذا العمل بالنسبة إليـه الـمُتنفَّس الـذي يجـد فيـه نفسـه لبـثِّ آرائـه وأفـكاره، وبـدأ والـدي يقـرأُ علـيَّ مـا جمعَـه:

- أوّلُ عمـل قـام بـه هـو كتابتـه في الشـؤون الأجنبيـة، وهـو في السّـابعة عـشرة مـن عمـره، وذلـك لإلمامـه بالفرنسـية والتركية.

- لكـنْ متـى بدأ نشـاطُه الصحفـيّ بالظهـور في المجلات والجرائد يـا أبي؟!

- في العام ١٨٩٧م، عُهـد إليـه بتحريـر جريـدة «الشّـام» الأسـبوعيَّة الحكوميّـة في سـورية، واسـتمرَّ فيهـا مـدّة ثـلاث سنوات.

- وأين عملَ بعد ذلك؟

- أخذ كرد علي يراسلُ مجلّة «المُقتطف» المصريَّة مدّة خمس سنوات، وحرَّرَ جريدة «الظّاهر»، ثمَّ حرّرَ في «المُؤيَّد»، فانتقلت شهرته إلى مصر، وذاع صيته، ثمّ تولّى تحرير جريدة «الرّائد المصريّ» عشرةَ شهور.

- هل استمرَّ عملُه صحافيّاً في مصر طوالَ تلك الفترة؟

- لا يا بُنيّ! عاد بعدها إلى دمشق، فأنشأ مجلَّة «المقتبس» سنة ١٩٠٨م، وفي الفترة التي أصدر فيها العثمانيّون المراسيم بافتتاح الجرائد المحليّة، تابع في دمشق إصدار مجلة «المقتبس» مع جريدة يومية أسماها باسمها أيضاً، ثم عطّلتها السلطات العُثمانية في العام التّالي بسبب نَقْده اللاذع لها، فهرب إلى باريس، وكلّ ذلك زاد من إصراره، إذ تلقَّفَ في فرنسا مزيداً من العلوم، ثم عاد إلى دمشق مجدداً.

- ما المنهج الذي كان يتبعه في مقالاته ونقده في «المقتبس»؟

- كان يصف سياسته في «المقتبس» بأنَّها: «معاونة الحكومة بالمعقول، وانتقادها عند الاقتضاء، وتحبيذها إذا أتت ما تُحبّذ عليه»، وكان يقول: «كنت أنزع أبداً إلى إنارة الأفكار، وبثِّ الملكات الصحيحة، وتقوية روح القومية العربية، وانتهاج سياسة وطنية ليس فيها شيء من الكراهية، وفَتْح صدر الأمّة لمعظم ما في المدنيّة الغربيّة من أسباب الرقيّ».

- هذا يعني أنّ له دوراً في نقل صورة واضحة ومشرقة للحضارة العربيّة إلى الغرب، كما فهمتُ من كلامك يا أبي؟!

- نعم، صحيح. لم يقف كرد علي في مقالاته لأجل الحضارة ولغتها موقفَ ردِّ الفعل، بل عَمَدَ إلى الفعل المُؤثِّر عبرَ إحياء اللغة العربية، فمنذُ إنشائه مجلة «المقتبس» الأدبيّة العلميّة الجامعة في القاهرة، عمل

علـى إبــراز ذخائــر تــراث العــرب اللغــويّ والبلاغـــي، مُصرِّحــاً بقولــه: «خـيرُ مـا يخـرج لطـلاب الآداب العربيَّــة في هــذا العهـد كلام أئمـة البلاغـة مـن أهـل القـرون الأولى».

- وهــل كان للصحافــة أثــرٌ في تكوينــه الشّخصـــيّ والــذاتي؟



- أشكرك لهذا السؤال يا ولدي! لا يُنكرُ أحدٌ دور الصحافة في تكوين كرد علي، فقد قضى فيها مدة طويلة من الزمن، وكانت الأداة الأنسب التي يستعملها للمُطالبة بالإصلاح، لذا بدأ حياته في العمل الصحفيّ مُحرِّراً ومُشْرفاً على ثلاث صحف مصريّة كما ذكرتُ لك، وهي: «الرائد، والظاهر، والمؤيد»، قبل أن ينفرد بإصدار مجلّته الأشهر «المُقتبس» في القاهرة، ثمَّ في دمشق، إضافةً إلى مقالاته التي نشرها في صحيفتَي «الأهرام» و«الثقافة» وفي مجلات «الرسالة، والمقتطف، والهلال».

- ألم تكن هذه المهنة التي أحبَّها وشُغفَ بها مصدرَ تعب وشقاء له في تلك الفترة المصيريَّة التي عاشتها البلادُ العربيّة؟

- كلامٌ سليمٌ يا بُنيّ! لقد تعرَّض كُرد علي لمشكلات كثيرة بسبب جُرأته في «المقتبس»، ورُفعت ضدّه دعاوى في المحاكم، لكنَّه نال البراءة تلوَ البراءة، ولمّا بدأت

نفسه تضيق بالعملَينِ السياسيّ والصحفيّ اللّذَينِ استغرقا من عمره عشرين عاماً قضاها بين الكتب والكتابة، قرَّر أن يُسافر إلى أوروبّا.

- ما الصفة العامّة التي كانت تُميُّز مقالاته ونقده، وما أسلوبُهُ في الكتابة؟

- كانت مقالاته تحارب الجهل والجهلاء، وتدعو إلى التحرُّر من الخرافات، وتنادي بالإصلاح والتجديد، والأخذ بوسائل المدنيّة الحديثة، وإحياء التراث النافع، ومعرفة التاريخ المجيد للأمة، حتى تُستلهَمَ منه روحُ البعث والنهوض، وثمة معلومةٌ لا بدَّ من ذكرها هنا، ففي الوقت الذي كان يُسرع فيه إلى الردّ على المستشرقين الـمُتعصِّبين الطاعنين في العرب وحضارتهم ولغتهم، كان في المقابل يُثني على جهودهم وعنايتهم بإحياء أمَّهات الكُتب التراثية العربيّة، خصوصاً تلك الجهود التي أُنجِزَتْ في سياق معرفيّ علميّ دقيق.

- ما المبدأ الذي اعتمده في كتابته الصحفيّة؟

- كان مبـدؤه في الكتابـة الصحفية واضحـاً كلَّ الوضوح، وهـو أن يخلـو التحريـر مـن التعقيـد، وأن يكـون التعبـير واضحـاً موجـزاً سـهلاً بليغـاً خفيفـاً مألوفـاً.

- ما المجلات التي نشر فيها أديبُنا آراءه وأفكاره؟

- نـشرَ (٦٠) مقـالاً في عـدد مـن المجـلات، منهـا: «الأديـب، الثقافـة، الجامعـة، الرسـالة، المجلـة الجديـدة، المغـرب، المقتبـس، المقتطـف، المنـار، الهـلال، نصـوص».

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



رسائل الأستاذ الرئيس

محمد كرد علي

إلى

الأب أنستاس ماري الكرملي

حسين محمد العجيل

مأمون الصاغرجي

١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

محمد كرد علي والـمجمع اللغويّ

مســاءً، اجتمعــتُ وأبي حــول المدفــأة، وبدأنــا الحديــث عــن علّامــة الشــام محمــد كــرد عــلي، ثــم انضمّــت إلينــا أمــي، وبــدأتُ أســأل:

- مِــنَ المعلومــات التــي اســتوقفتني أنَّ أديبنــا الرّاحــل كان مُؤسِّســاً للمجمــع العلمــيّ في ســورية، فكيف اســتطاع فعــل ذلــك وحــدَهُ يــا أبي؟!

- نعــم يــا بُنــيّ! في عــام ١٩١٩م، عــاد محمــد كــرد عــلي إلى وطنــه ســورية، وعُهــد إليــه برئاســة الديــوان، يعاونــه عــدد مــن كبــار علــماء ســورية، وكان مــن مهــمات الديــوان: «النظــر في أمــور المعــارف، والتأليــف، وتأســيس دار للآثــار، والإشراف عــلى المكتبــات، ولا ســيما المكتبــة الظاهريــة، وإنشــاء المــدارس والإشراف عليهــا، ووضــع مناهــج التدريــس والكُتــب المدرســية»، وقــد تحــوّل الديــوان بجهــود

رئيسه إلى «المجمع العلميّ العربي»، أو ما اشتُهِرَ بعد ذلك باسم «مجمع اللغة العربيّة»، للنهوض باللغة العربيّة وآدابها، وهو أوّل المجامع اللغوية ظهوراً في الوطن العربي.

- في أيّ فترة استطاع تحقيق حلمه هذا؟

- استطاع تحقيق حلمه في إنشاء مجمع علميّ عربيّ بعد استقلال سورية عن الدولة العثمانيّة، ففي فترة حكومة الملك فيصل، عرض الفكرة على الحاكم العسكريّ علي رضا الركابي الذي وافق على تسمية ديوان المعارف مجمعاً علميّاً عربيّاً، وهكذا أُنشِئَ أوّل مجمع علميّ عربيّ في الثامن من حزيران عام ١٩١٩م في دمشق، وعُيِّنَ محمد كرد علي رئيساً له، واستمر في رئاسته حتّى وفاته، وعُقِدَت الجلسة الأولى لهذا المجمع في ٣٠ تموز عام ١٩١٩م في مبنى المدرسة العادليّة بباب البريد.

- ومن هم الذين كانوا يُشكِّلُونَ النّواة الأولى لهذا المجمع؟

- في طليعة أعضائه العاملين الأوائل: «محمد كرد علي، خليل مردم بك، الدكتور حسني سبح، مصطفى الشهابي، الدكتور منير العجلاني، أمجد الطرابلسي»، وفي عداد الأعضاء المشاركين فيه «الدكتور شاكر الفحّام، الأستاذ راتب النفّاخ، الدكتور شكري فيصل»، وبين أعضائه الأوائل «الشيخ طاهر الجزائري، الشيخ أمين سويد، سعيد الكرمي».

- ماذا أنجزَ بعد إنشاء المجمع؟ وما الجهود التي بذلها للنهوض به؟

- بذل محمد كرد علي جهداً كبيراً في تكوين هذا الصرح العلميّ، ونجحَ في إبعاده عن التيّارات التي لا تُناسب مساره، وأنشأ له مجلة رصينة، صدر العدد الأوّل منها في الثاني من كانون الثاني عام ١٩٢١م، ونشرَ على صفحاتها (٤١) مقالة أدبيّة وتاريخيّة، وكتبَ المقالة

الافتتاحيّة لعددها الأوّل، ونُشِرَتْ في هذه المجلة (بدءاً بالمجلّد الأوّل ١٩٢١م وانتهاءً بالمجلّد الثامن والعشرين ١٩٥٣م) مقالاته ومحاضراته وكلماته وخطاباته ومراسلاته وفصولٌ من كتبه، إضافةً إلى تراجم الأعلام والتعريف بالكتب والمخطوطات التي ترد على المجمع، وقد ورد اسمه في لائحة كُتّاب المجلة (٥١٩) مرّة، فكان بذلك أكثر الكُتَّاب نشراً في مجلة المجمع، وفتح قاعة المجمع للجمهور لسماع المحاضرات العامّة التي كان يُلقيها رجال الأدب والفكر، وكان من نصيب محمد كرد علي منها (٦٢) محاضرة.

- من الـمُؤسِّسون الأوائل للمجمع العلميّ؟

- ضمّ المجمع حين تأسيسه عدداً من فحول اللغة والأدب، وهم: «محمد كرد علي، أنيس سلوم، سعيد الكرمي، متري قندلفت، عيسى إسكندر معلوف، عبد القادر المغربي، عز الدين علم الدين، طاهر الجزائري».

- ما الأهداف والغايات التي قام عليها المجمع العلميّ ؟

- كان أعضاء المجمع في دمشق يعقدون جلساتهم في إحدى الغرف العُلْويّة بدار الحكومة العربيّة، حتى تسلَّم المجمع مبنى المدرسة العادليّة القديمة، فرُمِّمَتْ، وأُعِيدَتْ إلى طرازها العربي القديم، وعُقِدَتْ أولى جلساته فيها في الثلاثين من تموز عام ١٩١٩م، ثم أصدر المجمع أهدافه في بيانٍ نشره، تضمَّن ما يأتي:

أوّلاً: النظر في اللغة العربيّة وأوضاعها العصريّة، ونشر آدابها، وإحياء مخطوطاتها، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون من اللغات الأوروبية، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب.

ثانياً: العناية بجمع الآثار القديمة، وخاصة العربيّة، والمخطوطات القديمة الشرقيّة، والمطبوعات العربية والإفرنجية، وتأسيس دار كتب عامّة.

ثالثاً: جمع الآثار القديمة عربيّة وغير عربيّة، وتأسيس متحف لها.

رابعاً: إصدار مجلة للمجمع لنشر أعماله وأفكاره، ولتكون رابطةً بينه وبين دور الكتب والمجامع العلمية.

وأتبع المجمعُ القولَ بالعمل، فعمد إلى ترجمة المصطلحات الإدارية إلى اللغة العربيّة، وبعث بها إلى رؤساء الدواوين ورجال الصحافة لاستعمالها، وترجمَ ونقّحَ كثيراً من القوانين، وأصلحَ الكتب المدرسية، واستعان بأهل الاختصاص من أساتذة المعاهد العليا في العمل على وضع المصطلحات الفنيّة الحديثة التي تستعملها مدرستا «الطبّ والحقوق».

- هل استطاع تحقيق ما يصبو إليه من طموحات وأفكار في أثناء تولّيه رئاسة المجمع العلميّ؟

- في المجمع، واجهَ علّامةُ الشّام بحزم الدعوات إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وحذّرَ كثيراً من

أخطارٍ بأعيانها تُحدِقُ باللغة العربيّة، لخَّصَها في ثلاثة محاذير:

الأوّل: اختراع خطّ جديد يُراد به الاستغناء عن الشَّكل.

الثاني: تبسيط قواعد اللغة العربيّة.

الثالث: اختيار الحروف اللاتينية لكتابة الحروف العربيّة.

- وهل نجح في هذه المساعي كلّها؟

- نعم، نجح. ليس هذا فقط، بل أنشأَ «مدرسة العلوم الأدبيّة العُليا»، وحوّلها إلى كليّة في الجامعة السُّوريّة التي تكوّنت آنذاك من كلّيّات «الطبّ، والحقوق، والآداب».

- هل نستطيعُ القول إنَّ المجمع الذي أَسَّسه محمد كرد علي هو النّواة الأولى للمجامع كلّها في البلاد العربيّة؟

- بالتّأكيد، المجمع العلميّ العربيّ في دمشق، هو

الأوّل، ثم تلاه بعض المجامع الأخرى في عدد من بلدان الوطن العربي، الأمر الذي شهد له به الأمير مصطفى الشهابي: «لو لم يكن لمحمد كرد علي من فضل على الأمّة العربيّة ولغتها إلا إيجاد المجمع ورعايته، لكفاه فخراً»، وجعلَ الأستاذ محمد الفاسي يُقرّر أنّ: «فضل محمد كرد علي في تأسيس أوّل مجمع في العالم العربيّ فضلٌ كبير، لأنَّه إذا كانت المجامع الأولى في العالم الأوروبي وليدة اهتمام الملوك ورجال الدولة، فإنَّ المجمع الذي أسّسه - رحمه الله - وليد فكرة رجل واحد، لا ملك ولا زعيم، وإنما عالِم مُفكّر رائد».

- وهل كان له دور في المجامع الأخرى التي أُقيمت في البلدان العربيّة؟

- لمّا أُنشئ مجمع اللغة العربيّة في القاهرة عام ١٩٣٣م، كان محمد كُرد علي واحداً من مؤسّسيه العشرين الأوائل، وقد برز نشاطه واضحاً فيه، فأسهم في أعمال كثير من اللجان، كلجنة علوم الحياة والطبّ،

ولجنة الآداب والفنون الجميلة، ولجنة العلوم الاجتماعيّة والفلسفيّة، ولجنة الأعلام الجغرافية.

- ما إسهاماته في المجمع العلميّ في القاهرة؟

- لقد ألقى في مجمع القاهرة كلمات عدّة، ونشرَ في مجلته بحوثاً، كما ردَّ على اقتراح أحمد أمين تبسيط قواعد اللغة العربية وتسكين أواخر الكَلِم، وردَّ على اقتراح علي الجارم تيسير الكتابة العربيّة، وردَّ بقوّة على اقتراح عبد العزيز فهمي اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية، وقد ذكر كُرد علي هذه الردود في كتابه «المذكّرات».

- هل تُحدّثني يا أبي عن المحاضرات التي ألقاها محمد كرد علي في المجمع العلميّ بدمشق؟

- ألقى أربعاً وستين محاضرة في ردهة المجمع ما بين عامَيْ ١٩٢١ و١٩٤٥م، وكان من جملة هذه المحاضرات: «آثار الشهباء والفيحاء»، «تاريخ العلم

في الشّام»، «سكّان الشّام ولغاتهم»، «صفحة من تاريخ بني أميّة»، «عهد تيمورلنك في الشّام»، «تاريخ بلاد الشّام في القرن الحادي عشر»، «الشّام في القرن الثاني عشر»، «عهد إبراهيم باشا المصريّ»، «المشرقيات في الحضارة العربية»، «الكتب والمكاتب في الشّام»، «أديرة الشّام وكنائسها»، «الشيخ طاهر الجزائري»، «شاعر النيل حافظ إبراهيم وشعره الاجتماعي»، «الفرق بين التربية الشرقيّة والغربيّة»، «مدارسنا القديمة والحديثة»، «غوطة دمشق»، «القول في حقوق المرأة». ومن كُتبِه التي صدرت ضمن مطبوعات المجمع: «المستجاد من فعلات الأجواد لأبي عليّ المحسن بن عليّ التنوخيّ» (تحقيق - ١٩٤٦م).

- ما أهم الأحداث التي وقعت في أثناء تولّيه رئاسة المجمع العلميّ؟

- من الأمور المهمة التي قام بها علّامة الشّام تكريمه للشّاعر أحمد شوقي، ففي عصر يوم السبت الأول من

شهر آب عام ١٩٢٥م، أقامَ المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية حاليّاً) حفل تكريم لأمير الشعراء أحمد شوقي بمناسبة زيارته لدمشق، فازدحمت قاعات المجمع وباحاته بالحضور الذين وفدوا لحضور الحفل ولرؤية الشّاعر الكبير، ويُحدِّثنا الشّاعر أنور العطار عن وقائع ذلك الحفل، فيقول: بدأت الحفلة الشوقيّة، فافتتحها رئيس المجمع الأستاذ محمد كرد علي بتقديم المحتفى به، فاعتذر عن التعرُّض لشعر شوقي لأنه ليس شاعراً، ولأنَّ الكلام عن الشّعر من حقِّ الشعراء وحدهم، فاعتلى المنبر الأستاذ شفيق جبري، وأنشد قصيدته الكُبرى:

غنِّ الديارَ، وقد نزلتَ بآلها
فعسى القوافي أن تذكِّر آلها
قم في ديارِ بني أُميّةَ باكياً
في الشّام إن سمحَ الهوى أطلالها

ثم اعتلى المنبر الأستاذ خليل مردم، وأنشد قصيدته البليغة:

يا شاعراً، والدهرُ بعضُ رواتهِ
باتتْ عليكَ تحاسدُ الأقوامُ
للعبقريَّةِ في قريضكَ طامعٌ
وعليهِ من آيِ النبوغِ وسامُ

ثم كان الكلام للأستاذ الجليل فارس الخوري، فأفاض في التحدُّث عن شوقي وعن شعره إفاضةً رائعة طيّبة، ثم ألقى الأستاذ فخري البارودي زجلاً رقيقاً في الترحيب بأمير الشعراء، ثم اعتلى المنبر الأستاذ نجيب الريّس صاحب جريدة القبس لينوب عن أمير الشعراء في إلقاء قصيدته، فقد كان أحمد شوقي لا يُلقي شعره بنفسه، بل يدفعه إلى آخرين يلقونه عنه، فضجَّ الحضور بالتصفيق والهتاف، طالبين أن يروا الشاعر، فلبّى الطلب، ووقف إلى جانب الأستاذ الريّس، حتّى أتمَّ إلقاء القصيدة:

قُمْ نـاجِ جلَّقَ، وانشـدْ رسـمَ مَـنْ بانوا
مشـت عـلى الرسـم أحـداثٌ وأزمـانُ

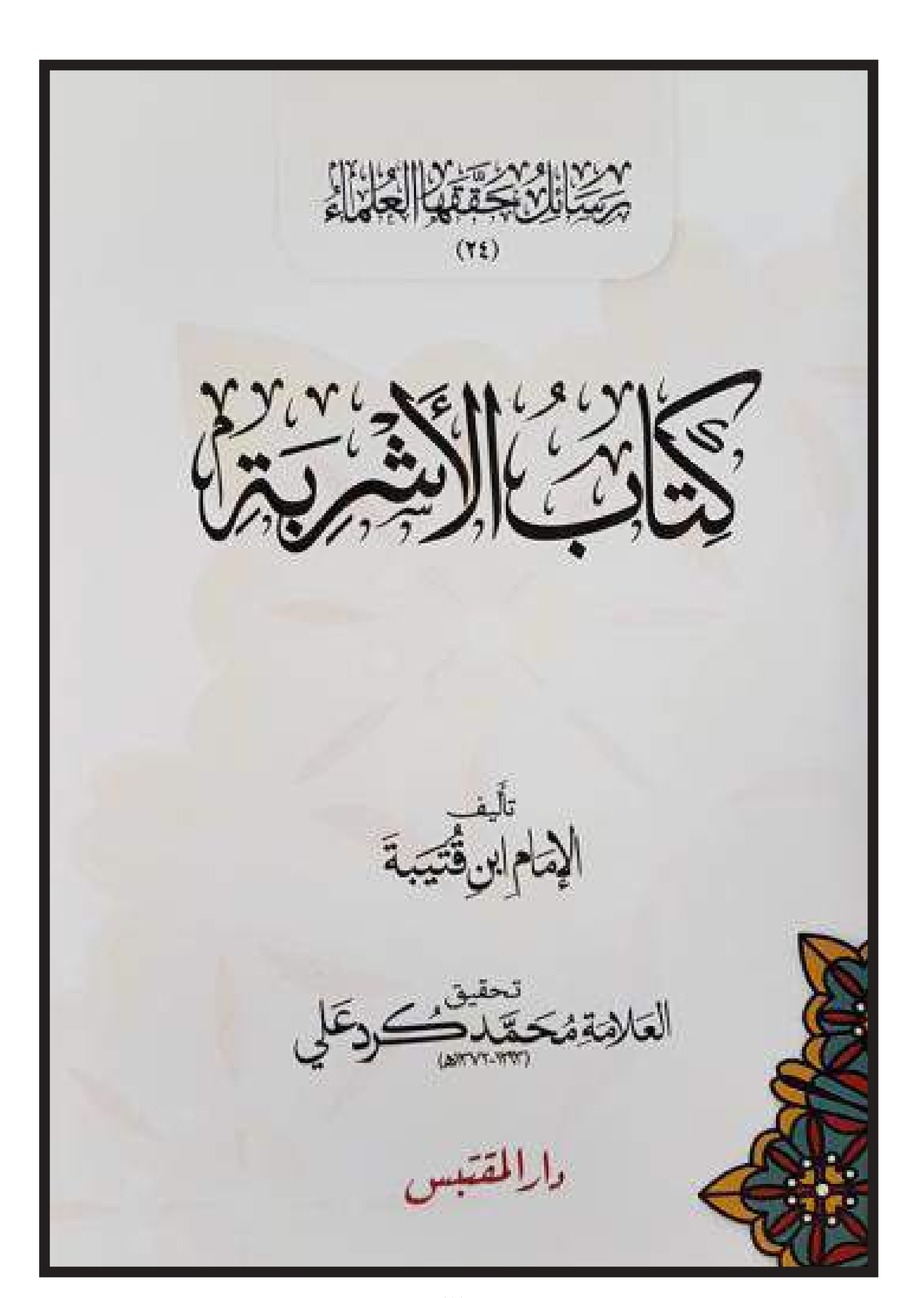
لـولا دمشـقُ لمـا كانـت طُليطلـةٌ
ولا زهـت ببنـي العبّـاس بغـدانُ

جـرى وصفَّـق يلقانـا بهـا بـردى
كـما تلقّـاكَ دُونَ الخلـد رضـوانُ



مندوب سوريا في تكريم شوقي

كانت سوريا ولبنان في مقدمة البلدان العربية التي قررت الاشتراك في تكريم امير الشعراء فعقد أدباء البلدين اجتماعات قرروا فيها انتخاب الاستاذ محمد كرد علي مندوباً عن أدباء سوريا والاستاذ شبلي بك ملاط الشاعر المعروف مندوباً عن أدباء لبنان . والاستاذ كرد علي الذي ننشر صورته فوق هذا الكلام غني عن التعريف فان له في ميدان الأدب جولات تشهد له بسعة العلم والاطلاع



رسائل يحققها العلماء
(٢٤)
كتاب الأشربة
تأليف
الإمام ابن قتيبة
تحقيق
العلامة محمد كرد علي
(١٢٩٣-١٣٧٢هـ)
دار القبس

آثاره الفكريّة

في بداية كتابتي عن محمد كرد علي، وعدتني أختي أسماء بتعريفي بالآثار الفكريّة التي تركها، والموضوعات التي كتبَ وأبدع فيها، حتّى صارت إرثاً كبيراً للأجيال بعده.

- أبي! لا بدّ أنّ محمد كرد علي ترك إرثاً علمياً وإنسانياً ومعرفياً كبيراً في مجالات كثيرة، ولا سيما أنَّهُ عمل في مجالات عدّة، ونبغ في أمور كثيرة، وزار كثيراً من دول العالم، وكان سبباً في تأسيس المجمع العلميّ العربي بدمشق.

- صدقت يا بنيّ! لقد ترك كُتباً مهمة ومفيدة في مجالات التأليف والتحقيق والترجمة، إضافةً إلى كثير من المقالات. تعال نستمع إلى أختك أسماء لنرى ما أعدّتْ لنا من معلومات!

قالت أسماء:

ثمة كثير من المعلومات التي تخصُّ الإرث الفكريّ لمحمد كرد علي، ومن هذا الإرث كتابُهُ «أقوالنا وأفعالنا» الذي يضمُّ عدداً من مقالاته الإصلاحيّة، وطُبع في القاهرة عام ١٩٤٦م، وفيه يُكرِّس قلمه لرصد ظواهر اجتماعيّة وثقافيّة سادت المجتمعات العربيّة في بدايات القرن العشرين، فرأى أنَّها تعوق التطوُّر، وكان لزاماً تسليط الضوء عليها، وحلّ المشكلات التي كانت سبباً في تأخُّر نهضة العرب.

سألها أبي:

ما الأسلوبُ الذي اتّبعه في هذا الكتاب؟

أجابت أسماء:

كان يعقد المقارنات بين تلك العادات والطباع المرفوضة وبين العادات والطباع الأوروبيّة الـمُستحسنة، فلا يرى غضاضةً في الأخذ ببعض سلوكاتهم وطباعهم

التي حقّقت لهم التقدُّم، فكانت دافعاً لا عائقاً، كذلك يقدِّم رؤيته في قضايا اجتماعيّة عدّة كانت مجالاً لسجالات فكريّة في تلك الآونة، كقضية حقوق المرأة، وقضية الوحدة العربيّة.

وتابعت أسماء:

ومن كتبه أيضاً، «خطط الشّام» الذي طُبِعَ عام ١٩٢٥م في ثلاثة أجزاء، وهو سلسلةٌ استغرق العمل على جمعها وتنقيحها (٢٥) عاماً. يرصد في هذا الكتاب تاريخَ الشّام منذ فجر التاريخ، حتى عصر بقايا السلجوقيين، وصولاً إلى المرحلة المتأخّرة من العهد العثماني، وطُبِع مُلخّص بعض فصوله في مصر عام ١٩٥٤م باسم «دمشق مدينة السحر والشعر»، وفي تأليفه لهذا الكتاب يقول: «شرعتُ أتصفّح كلَّ ما ظفرت به من المخطوطات والمطبوعات باللغات العربية والتركية والفرنسية، وقصدتُ دور الكتب الخاصة والعامة في الشام ومصر والمدينة المنوّرة والأستانة وروميّة وباريس

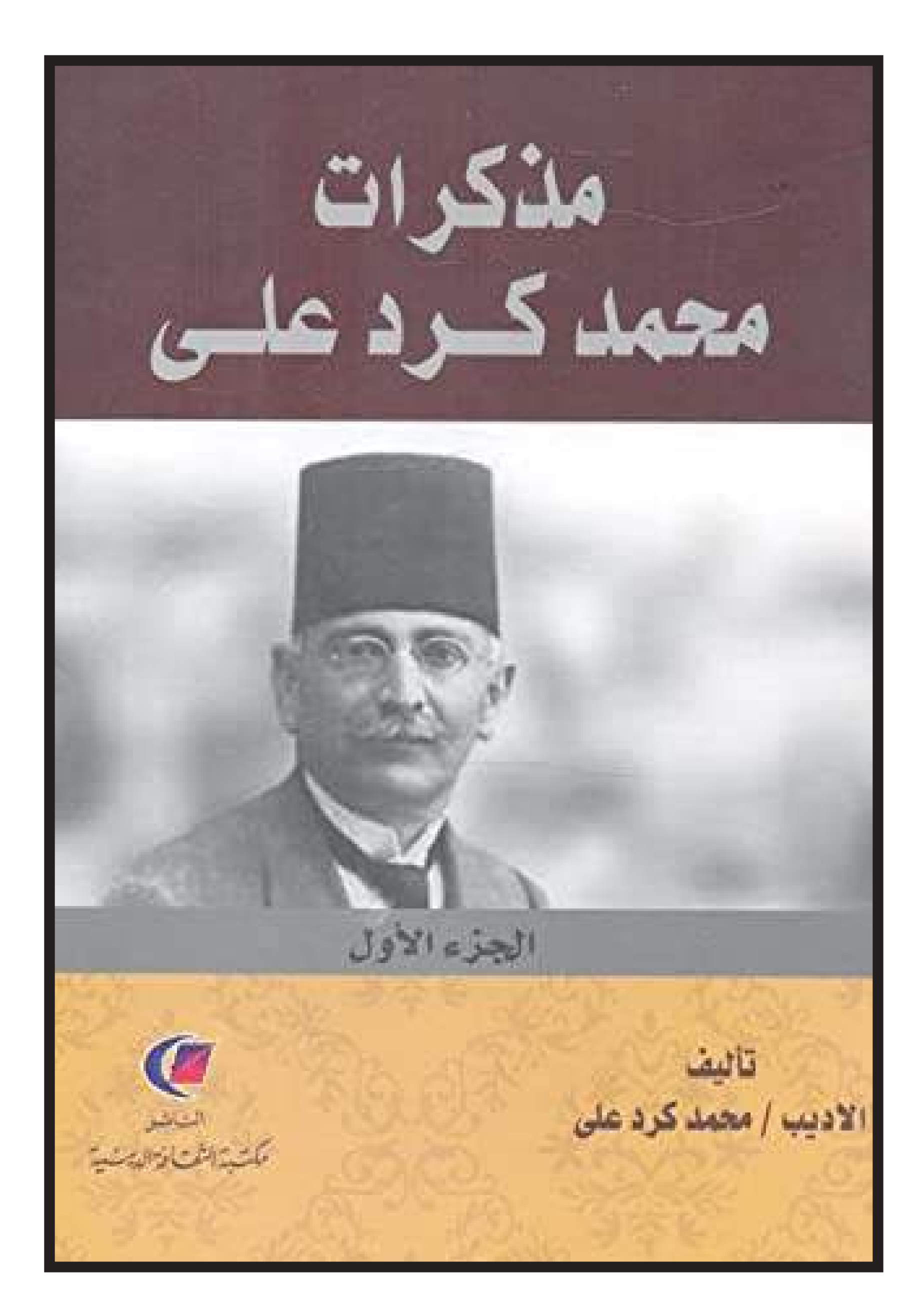
ولندن وأكسفورد وكامبريدج وليدن وبرلين وميونيخ، وكنت كلّما استكثرت من المطالعة تجلّتْ أمامي صورة العمل». إنَّ هذا الكتاب أهم ما كُتِب عن بلاد الشام بعد ما كتبه ابن عساكر عنها، ويُعدُّ المرجع الرئيس لمن يريد الاطلاع الواسع على تفاصيل تاريخ بلاد الشام.

سألتُها:

– ما الكتاب الذي أثارَ ضجّةً، كما شرحتِ لي البارحة، وكانَ محلَّ نقدٍ وجدل في الأوساط العلمية والأدبية في تلك الفترة؟

– إنّه كتاب «المذكّرات» في أربعة أجزاء، الذي يُمثِّل في مضمونه تجربة حياة عاشها محمد كُرد علي، وهي تُجسِّد بدايات عصر النهضة واحتكاك الثقافتين الشرقية والغربية، وردّ الفعل ما بين القبول والرفض لدى العامّة والحُكّام والمُفكّرين.

– من أين تأتي أهميةُ هذا الكتاب؟


مذكرات
محمد كرد على
الجزء الأول
تاليف
الاديب / محمد كرد على
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

- يحتلُّ كتاب «المذكّرات» جانباً مهماً من أعماله، بما يتضمَّنُه من نشاط أدبيّ وعلميّ وتاريخيّ وسياسيّ، كما يتضمَّن علاقاته بشخصيّات عصره على المستويات كافة، إذ ارتبطَ بعلاقات قويّة مع علماء دمشق المعروفين وغيرهم.

- هل ثمة موضوعات محدّدة ناقشها هذا الكتاب؟

- اشتملت مذكّراته عنوانات عدّة، منها: «ذكريات الطفولة، أخلاق بعض القضاة، ناظم باشا والمقتبس، العربيّة عند المسلمين، الحكومة التاجيّة، لباس الرأس والبدن، ساسة الشّرق، أرباب الاستبداد»، وغيرها.

- ماذا قال هو نفسه عن هذا الكتاب؟

- كان يقول: «أصوِّر طائفةً ممن عشتُ بينهم، وأدوّنُ كلَّ حقٍّ عرفته، ليشاركني أبناء هذا الجيل والذي بعده الأفكارَ في مَن أضجروني بقصورهم، وآلموني بغرورهم».

- بما أنّهُ اشتهر برحلاته، هل ألَّفَ كتاباً يُصوِّرها فيه؟


كتاب
k-tab.net
غرائب الغرب
تأليف
محمد كرد علي
شركة نوابغ الفكر

- وضع خلاصة سفره وترحاله في كتاب «غرائب الغرب» الذي صدر عام ١٩٢٣م. يتحدَّث فيه عن رحلاته إلى أوروبّا، ويضع أمام القارئ دراسة دقيقة عن واقع الغرب الأوروبي في تلك المرحلة المبكّرة من القرن العشرين، بعيداً عن أنموذج الكتابات السياحيّة التي يضعها بعضهم حول مظاهر سطحيّة في بلاد الغرب.

- ألم يُؤلّف أديبُنا كتاباً عن التراث العربي بما أنه كان مهتماً جدّاً بالحضارة العربيّة؟

- بلى، لقد وضع كتاباً أسماه «كنوز الأجداد»، وفيه يتحدَّث عن بعض أعلام الثقافة العربيّة، كالأصفهانيّ والتنوخيّ والحريري، وغيرهم، في رصدٍ جميل لأكثر من خمسين عَلَماً.

- كما فهمتُ من حديثكِ، فإنَّ كرد علي على معرفة واسعة بأدباء عصره ومفكّريه وعلمائه. ألا نجد بين مُؤلّفاته كتابَ تراجم يشمل هذه الشخصيّات؟

- أحسنتَ السّؤال يا أخي! وضع محمد كرد علي كتاباً أسماه «الأعلام»، يُمثِّل قيمةً فكريّة عظيمة تُضاهي قيمة كتاب أحمد أمين «زعماء الإصلاح في العصر الحديث».

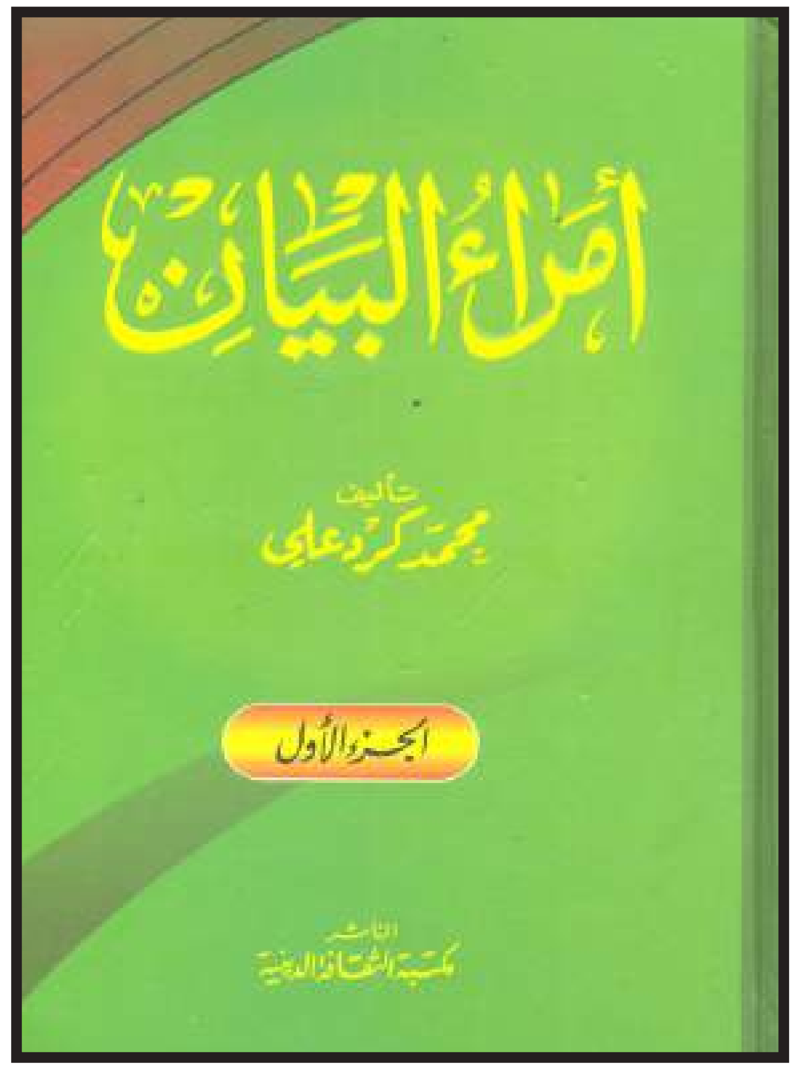
- وماذا وضع في هذا الكتاب؟

- كتبَ، على سبيل المثال، كتابةً متميّزة عن محمود سامي البارودي، وعن الشيخ محمد مصطفى المراغي، وكان قادراً على أن يرسم الملامح الكُلّيّة للشخصيّات والقدرات الخاصّة التي تتحلّى بها.

- وهل له كتبٌ أُخرى؟

- لهُ كتاب «أمراء البيان»، الذي طُبع في القاهرة عام ١٩٣٧م، وتحت عنوان «في أعلام العرب المنسوبين إلى البلدان الأعجمية»، حرصَ في كتابه على تأكيد عروبة الصاحب بن عبّاد، كما نفى نسبة صاحب الأغاني إلى أصفهان، بينما هو أمويّ عربيّ، ونفى نسبة صاحب

القاموس إلى فيروز آباد، وهو بكريٌّ عربيّ، ونسبة القزويني، صاحب آثار البلاد، إلى قزوين، وهو عربيّ.



- وهل بقي شيءٌ من مؤلّفاته الكثيرة التي زوَّد بها المكتبة العربية؟

- نعم، له كثيرٌ من المؤلّفات، منها: «الإسلام والحضارة العربيّة» الذي طُبِعَ في القاهرة في مُجلّدين عام ١٩٣٤م، و«الحكومة المصرية في الشام»، و«غابر الأندلس وحاضرها»، و«غوطة دمشق»، وله تحقيقاتٌ منها: «سيرة أحمد بن طولون» للبلوي، وقد طُبِعَ في دمشق، و«تاريخ حكماء الإسلام»، للبيهقي.

- إن إرثه الفكريّ والمعرفيّ غنيٌّ جدّاً.

- نعم، لقد نجحَ في توضيح أثر العرب في الثقافة العالمية، ونقل اقتباساً عن أحد علماء الغرب قال فيه: «إنّه لو حُذِفَ العرب من التاريخ لتأخّرت نهضة الآداب قروناً عدّة في الغرب»، وعقدَ فصلاً ممتعاً عن أثر اللغة كقوّة ناعمة ووسيلة ناجعة في التواصل الحضاري.

- وهل نقلَ لنا من كُتب التراث الأوروبي؟

- عرّبَ محمد كُرد علي روايات فرنسيّة، مثل «قبعة اليهودي ليفمان» التي أثارت ضجّة بين النُّقّاد عام ١٨٩٤م، وفي مصر ترجمَ «الفضيلة والرذيلة» لجورج أونيه، و«تاريخ الحضارة» لشارل سنيوبوس.

- ما إسهاماته في إحياء التراث العربي؟

- حملَ على عاتقه إخراج ذخائر تراث العرب اللغوي والبلاغي عبر أعداد مجلّته «المقتبس» منذ عام ١٩٠٦م في القاهرة، مُصرِّحاً بقوله: «خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية في هذا العهد كلام أئمة البلاغة من أهل القرون الأولى». ولأجل هذا اختطّ لنفسه منهجاً متماسكاً في تحقيق المخطوطات، فكان ذا عناية بالغة بوصف الأصول الخطّيّة للمخطوط تفصيلياً، وبتوثيق نسبتها، وباستقصاء نُسخ المخطوط والمقابلة بينها والترجيح، كي يخرج النصُّ كما كان يريده مُؤلّفُه، وكان معياره الفهم والعلم.

- ما الهدف الذي أراده من وراء تحقيقه هذه المخطوطات العربية؟

- كان يهدف إلى تقديم قدوة يحتذيها الـمُتأدّبون في كتاباتهم، والمشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه، ودعاة الإصلاح، وهو يعدُّ القارئَ شريكَ الـمُحقّق في البحث مهما بلغت درجة المحقّق من العلم والتنقيب، مع حرصه على تقديم النصّ الـمُحقَّق مستوفياً علامات ترقيمه، ومُقسّماً إلى فقرات، وموضّحاً ما غمضَ من ألفاظه، ومتبوعاً بهوامش وفهارس ومصادر مستوفاة.



محمد كرد علي وزيراً للـمعارف

في عـــام ١٩٢٠م، عُهــد إلى الأســتاذ محمـــد كـــرد عـــلي بمنصــب وزيــر الـــمعارف.

- كيـــف أصبـــح الأديـــب محمـــد كُـــرد عـــلي وزيـــراً للمعـــارف يـــا أبي؟!

- إنّ شـــخصيةً مهمـــةً كهـــذه، مُـــتعدّدة المشـــارب والتطلُّعـــات والثقافـــات، جديـــرٌ بهـــا أن تتسلَّـــمَ منصبـــاً حيويـــاً كمنصـــب وزيـــر المعـــارف.

- وكيف تـمَّ ذلك؟ وفي أيّ عام؟

- عُـــيِّـــنَ وزيـــراً للمعـــارف في حكومـــة جميـــل الألـــشي عـــام ١٩٢٠م، بعـــد اســـتيلاء قـــوات الاحتـــلال الفرنـــسي عـــلى البـــلاد.

- وهـــل ثمـــة إنجـــازاتٌ حقَّـــقها، وهـــو وزيـــر، تُضاف إلى إنجازاته السّـــابقة؟

- في أثناء وزارته، بعث عشرةً من الطلّاب لاستكمال دراساتهم العليا في الجامعات الفرنسيّة، وأنشأ مدرسة الآداب العُليا، وجعلها تابعةً للجامعة السُّوريّة، كما هيَّأ أسباب افتتاح عدد من الكُلّيّات التي أُضيفت إلى الجامعة، لكنه لم يبقَ في منصبه طويلاً، فقد غادَرَهُ في عام ١٩٢٣م بسبب تصريحات لفّقَها له موظّفان في حكومة الانتداب الفرنسيّة، ولمّا عُرِضت عليه العودة إلى المنصب في عام ١٩٢٥م اعتذر، وبدأ بطبع كتابه الشهير «خطط الشام» في دمشق. وفي عام ١٩٢٨م وافقَ وعادَ ليتولّى وزارة المعارف في حكومة تاج الدين الحسني، ومثّلَ بلاده في مؤتمر المستشرقين السابع عشر بمدينة أكسفورد، ثم أُعيدَ انتخابه رئيساً للمجمع العلمي عام ١٩٤١م، لينشط المجمع في الطباعة والتحقيق.

رحلاتُه

الأسفار نزهةُ الأدباء والمفكّرين، وملاذُ الباحثين، يسبرون خلالها أغوار المجاهيل، ويتعرَّفون بلاداً وأناساً لم يألفوهم من قبل، ويتعلَّمون معارف جديدة تُضاف إلى رصيدهم، فتزداد معرفتهم دقّةً، وخبرتهم دراية، فإذا ما اكتملت المعرفة بالخبرة تحوَّلت إلى ذخيرة لغويّة واجتماعيّة تكون نهايتُها مُحاضراتٍ أو كُتباً أو خبرةً حياتيّة تُؤصِّلُ في صاحبها المعرفةَ والدّراية.

والعلّامة محمد كرد علي أحد هؤلاء الذين سمت نفوسهم، وارتقت في مدارج المعرفة والعلم، لتكتمل بالرحلات والأسفار، بحثاً عمّا يزيد النفس طموحاً وهمة.

أختي سندس المهتمة بالسياحة والسفر، وعدتني بملفّ خاصّ عن رحلات أديبنا محمد كرد علي:

- ما البداية الأولى في رحلات علّامة الشّام يا أختي العزيزة؟!

- كانت مصر قبلته الأولى، فقد زارها في عام ١٩٠١م، ورأى معالمها، وقابلَ أدباءها ومفكريها.

- هل أعجبته مصر؟ وهل بقي فيها طويلاً؟

- كيف لا تُعجبُه، ومصر أمُّ الدّنيا كما يقولون؟ لقد كان له فيها صولاتٌ وجولات، وسرعان ما اقتنع بالاستقرار فيها، إذ عُرِضَ عليه تحرير جريدة «الرائد المصري»، فوافق على ذلك، وفي أثناء إقامته بمصر كان يشرف على ثلاث صحف عُرفت حينها بتمجيد الوطنيّة وانتقاد سياسات الاحتلال في العالم العربي، كما تعلم.

- ما أهم الأمور التي قام بها في مصر؟ ومن أهم الأدباء والعلماء الذين التقاهم وتعرَّف إليهم؟

- في تلك الفترة، واظبَ على دروس الشيخ محمد

عبده وكثير من العلماء والمفكّرين، واستكمل بهذا ما كان بدأه من الاتصال بعلماء دمشق المعروفين، غير أن مدة إقامته في مصر لم تطل أكثر من عشرة شهور، فقد عاد بعدها إلى دمشق فراراً من وباء الطاعون الذي انتشر في تلك الفترة.

– وهل عاد إلى مصر ثانيةً؟

– نعم، عادَ إلى القاهرة ثانيةً للاستقرار فيها عام ١٩٠٥م.

– هل قام بنشاطات مُعيَّنة كون مصر في تلك الفترة تعدُّ موطناً للمبدعين والمفكِّرين؟

– نعم، قام بنشاطات كثيرة يشهدُ له بها المصريون أنفسُهم، فقد أصدر فيها مجلة «المقتبس» الشهريّة، حافلةً بكنوز الأدب والشّعر، وتولّى أيضاً تحرير جريدة «الظاهر» اليوميّة، ولمّا أُغلقت هذه الجريدة دعاه علي يوسف، أحد كبار علماء مصر آنذاك، وصاحب

جريـــدة «المؤيَّـــد» كــبرى الجرائـــد في العـــالم العـــربي، إلى العمـل معـه فيهـا، وظلَّ كذلـك حتّـى عـام ١٩٠٨م لـمّـا غــادر القاهــرة إلى دمشــق.

- وبعد أن عاد إلى دمشق، هل قام بنشاطات أُخرى؟

- بعــد عودتــه إلى وطنــه، أنشــأ مطبعــة وجريــدة يوميّــة باســم «المقتبــس»، وقــد وُصفــت بأنهــا صــوت حريّــة وســوط عــذاب عــلى الظلــم والاســتبداد، وسُرعــان مــا احتلّــت مكانــةً عاليــة، وأقبــل النّــاس عليهــا، وقــويَ تأثيرهــا السياســيّ والإعلامــيّ إلى حــدٍّ غــير مســبوق.

- مــا الــدول الأُخــرى التــي زارهــا، وكان لهــا الأثــر العظيــم في نفســه؟

- في عــام ١٩١٠م، قــرَّر مغــادرة دمشــق إلى أوروبّــا، وعــزمَ عــلى خــوض ميادــن البحــث العلمــي والأدبي، فطــاف بمكتبــات أوروبــا الشــهيرة في إيطاليــا وســويسرا والمجــر، طلبــاً لجمــع مــادّة كتابــه «خطــط الشــام» الــذي

يُـؤرِّخ فيـه للشـام، ويُـدوّن جغرافيتهـا وحضارتها، وأقـام في باريـس فـترةً، وفيهـا التقـى مُفكّريـن وأدبـاء، وتعـرَّف الحـركاتِ العلميّـةَ والثقافيـة في الغـرب.

- ما انطباعاته عن البلاد الأوروبية، ولا سيما فرنسا؟

- في واقـع الأمـر، انبهـر محمـد كـرد عـلي بأوروبـا، وكتـب (٣٥) مقالـة سـجَّل فيهـا رحلتـه في الغـرب وافتتانـه بالعاصمـة الفرنسـيّة باريـس، وقـد طُبعـت هـذه المقالات في كتابـه «غرائـب الغـرب». يقـول في كتابـه «خطـط الشـام» عـن رحلتـه إلى باريـس: «صرفـتُ الوقـت في باريـز أدرسُ مدنيّتهـا، وأسـتفيد مـن لقـاء علمائهـا وساسـتها، ووقفـتُ وقوفـاً حسـناً عـلى حركتهـا العلميّـة والسياسـيّة، وذلـك بواسـطة جماعـة مـن أصدقائـي علـماء المشرقيّـات، عرّفـوني إلى الطّبقـة العليـا التـي أردتُ التعـرُّف إليهـا في عاصمـة الفرنسـيس، وفي مقدّمتهـم فيلسـوف فرنسـا إميـل بوتـرو، وقـد سـألتُهُ أن يكتـب لي جريـدةً بأمّـهات الكتـب التّاريخيّة والاجتماعيـة والأدبيـة والاقتصاديـة، فتفضّـل وكتـبَ

لي مـــا أردت، فطالعتـــه كلّـــه مطالعـــةَ درس، ولا أزال إلى اليـــوم أجعـــل تلـــك المجموعـــة المختـــارة ســـلوتي في خلـــوتي وجلـــوتي».

قالوا عن محمد كرد علي

في اجتماع الأسرة مساءً، وبعد أن جمعتُ ما كتبتُ عن علّامة الشّام الأستاذ محمد كرد علي، بدأتُ أتقصّى ما بقيَ لأُكمل بحثي عنه، فاستعنتُ بالشّابكة لأرى ما قيل في هذه الشخصيّة التي أغنت المكتبة العربيّة بكثير من المؤلّفات والمقالات، فوجدت أشياء كثيرة، وبدأتُ بترتيبها وعرضها على أبي.

– ثمة كثير من الأقوال لمن عاصروه تشهد بحقِّ هذا الرجل الذي كان سبباً في تأسيس المجمع العلمي وتأسيس كثير من الصحف والمؤلّفات يا أبي!

– وهل استطعت تدوين بعض هذه الأقوال يا بُنيّ؟!

– نعم، يقول الأمير مصطفى الشهابي: «كان أنشط أديب أطلعته دمشق في النصف الأول من القرن

العشرين، ولو لم يكن لمحمد كرد علي من فضل على الأمة العربية ولغتها إلا إيجاد المجمع ورعايته، لكفاه فخراً».

ويقول الدكتور منصور فهمي في تأبينه: «وإنّ في كُتب كرد علي من أمهات المراجع المستقطرة من الأسانيد والأسفار التي لا تتداولها الأيدي، ما يدلُّ على واسع علمه وعلى موهبته في صناعة الكتب».

أما الأستاذ شفيق جبري فإنه يقول عنه في محاضرته التي ألقاها في جامعة الدول العربية: «أما معرفته بالمستشرقين وكتبهم فقد تكون آيةً من الآيات، فقد أحاط علمه بتاريخ الاستشراق والاستعراب... وله صلة بأكثر المستشرقين والمستعربين، وهو مطّلع على كتبهم التي نشروها، وقد تكلّم عليهم في مقالات ومحاضرات خاصة».

وقد خصَّهُ علّامةُ العراق محمد بهجة الأثري بقوله: «الأستاذ محمد كرد علي – رحمه الله – أمّة في رجل،

نافح عن العروبة والإسلام، ودعا إلى الحرية، وقاوم الاستبداد. أهّلته مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناة النهضة الحديثة وقادتها الكبار في بلاد العرب، وسيرته مثالٌ رائع لمضاء العزيمة وخلوص النية وصدق العمل وحبّ الخير وإرادة الإصلاح».

وفاته

- بعد هذه السيرة الحافلة بالبحث والسفر والتدوين يا أبي! كيف كانت نهاية رحلة رَجُل عظيم مثل العلّامة محمد كرد علي؟

- في كتابه «المذكّرات» وصف محمد كرد علي الشيخوخة، وتوقّع الرحيل، فصار يحاسب نفسه، ولنستمع إليه يقول: «يا نفس لا تغضبي، ولا تعتبي، فقد عُمّرت طويلاً، ومُـتّعت كثيراً، وفُتنت بجمال الوجود وجلال الطبيعة، وهمتِ بصُنع الخالق والمخلوق، واستكثرت من الخلّان والمعارف، وسعدتِ، إذ كنت أقرب إلى التفاؤل من التشاؤم، وإلى الرجاء أدنى من القنوط، وإلى السّرور أكثر من الغم، وعشتِ في سلطان الرضا طيّبة الطعمة، لا يدَ لأحد عندك».

وفي الثّاني من نيسان عام ١٩٥٣م، تُوفّي الأستاذ الأديب اللغويّ المُؤرّخ المُحقّق محمد فريد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، عن (٧٧) عاماً، ودُفن في

مقبرة الباب الصغير بدمشق. وقد سُمّي أحد شوارع دمشق باسمه تكريماً له وتقديراً لما قدَّمه إلى الوطن من خدمات جليلة في مجالات العلم والمعرفة، ولما خلَّفه من آثار قيّمة، وأصدرت المؤسسة العامّة للبريد طابعاً بريدياً يحمل صورته، تخليداً له.

- هل كتبَ أحدٌ من المُؤرِّخين وصفاً لهذا الحدث؟

- في هذا المقام، وقف الأستاذ جان ألكسان شاهداً ومُؤرِّخاً لهذا الحدث الجلل:

«من الأيام المشهودة في تاريخ دمشق، يوم الخميس، الثاني من نيسان لعام ثلاثة وخمسين وتسعمئة وألف، لمّا خرجت المدينة عن بكرة أبيها لتُشيّع وتُودّع علّامة الشّام محمد كرد علي... ليقف على القبر الأديب العالم الدكتور منير العجلاني يُودِّعه بكلمة رثاء بليغة قال فيها: (إنَّ ثمّة إمارتين معقودتين في العالم العربي: إمارة الشعر، وكانت معقودة اللواء للمرحوم أحمد شوقي، وإمارة العلم، وكانت معقودة اللواء لفقيدنا العلّامة

محمد كرد علي). وكانت كلمة إنصاف للراحل الكبير، إذ يندر أن نجد بين أعلام العلم والأدب والبحث والمعرفة والترجمة في الوطن العربي، في القرنين التاسع عشر والعشرين، من يتميّز بمثل هذا التفرُّد الذي كان عليه علّامة الشام محمد كرد علي، وقد أغنى المكتبة العربيّة بنتاجه الغزير من كتب مترجمة ومعرَّبة وموضوعة، ومن أدب المقالة، والدراسات التاريخيّة والأدبيّة، وتحقيق الكتب والمخطوطات، كما كان أوّل رئيس لمجمع اللغة العربية في دمشق، الذي كان بدوره أول مجمع علمي عربي (أُنشئ عام ١٩١٩م) في البلاد العربية إذ أُطلق عليه (أبو المجامع) اعترافاً بأسبقيّته من الناحية التاريخية».

وفي بعض جوانب سيرة العلّامة الكبير، قيل إنَّ أحد المستشرقين وقف مرَّة أمام التراث المطبوع للعلّامة محمد كرد علي، وسأل مرافقيه: هل حاول أحد جمع عدد الصفحات التي كتبها الراحل؟ ولمّا أُجيبَ بالنفي،

قــرَّر هــو أن يقــوم بهــذه المهمــة، فكانــت النتيجــة أنَّ مجموع صفحــات كتبــه المطبوعــة بلــغ عــشرة آلاف ومئتــين وأربعــاً وخمســين صفحــة، عــدا مجلــة «المقتبــس» التــي أصدرهــا في تسـعة مجلّـدات، وبلـغ عـدد صفحاتهـا سـتّة آلاف وأربعمئة وسـبعاً وسـتين صفحــة، وكذلـك جريـدة «المقتبـس» التـي أصدرهـا يوميّــةً وشـهريّةً لسـنوات.

رحــمَ الله علّامــة الشّــام محمــد كــرد عــلي، فقــد قــضى حياتــه مُــحــبّــاً لوطنــه، عاشــقاً للمعرفــة.

مقالة

في جلسة مسائيّة، وقد كانت الأسرة مجتمعةً، طلبتُ إلى أبي أن يقرأ لنا مقالةً كتبها علّامة الشّام محمد كرد علي، فقد ازدادت لهفتي إلى تعرُّف أسلوبه أكثر، وهو الذي ملأ الآفاق علماً ومعرفة.

دخل أبي إلى المكتبة، وأخرج مجلّة قديمة، وراح يتصفَّحُها، وبعد لحظات صاح: وجدتُها! هذه مقالة نادرة طريفة نشرها الأستاذ محمد كرد علي في العدد الثاني من مجلة «المقتبس» (٢٦ آذار ١٩٠٦م)، وقد اختصرها من كتاب أجنبيّ اطلع عليه، فأعجبه أحد فصوله، وهو يتناول أحوال الأوروبّيين في عشق الكتب الذي وصل لدى بعضهم إلى حدِّ الجنون.

الـجنون بالكُتب

«الغالــب أن عشّـاق الكتــب كعشــاق الجـمال، أو هــم أضــلّ ســبيلاً، فتراهــم هائمــين خاملــين لا يعــون شــيئاً في الأرض، ولا يحفلــون بعظائــم الأمــور، فضــلاً عــن صغارهــا. يجعلــون الكتــب روحهــم وراحهــم وريحانهــم، بــل فروضهــم ونوافلهــم وأحاديثهــم وأشــغالهم، وكلّ شيء إذا جـاوز الحـد انقلــب إلى الضــد، وكذلــك الحــال بعاشــق الأســفار، فربــما جــوَّز لنفســه السرقــة، لكــنْ سرقــة الكتــب، بــل ربــما أفتــى بــحِلِّ ذلــك لمــن يســتفتيه.

ولقــد قــرأتُ فصــلاً لأحــد كُتّــاب الفرنجــة، فآثــرت تلخيصــه كــما يــلي:

أقــرَّ أحــد عشــاق الكتــب يومــاً في إنكلــترا عــن نفســه، واســمه ديبــدن، أنّــه هــمّ يومــاً بــأن يــسرق، وحمــد الله عــلى

أن خلا بنفسه في خزانة كتب ستراسبورغ، ولم تحدثه نفسه بسرقة كتاب منها، وكان خطر على بال رجلين في إنكلترا أن يطبعا لنفسيهما خاصّة كتاباً يكون آيةً في طبعه ووضعه وصوره وورقه وتجليده، ولم يطبعا منه غير نسختين، حتى حدَّثت أحدهما نفسه بأن يذهب إلى دار صاحبه، ويستأثر دونه بالنسخة، فيسرق بعض صورها، حتى تكون نسخته هي التي يرجع إليها، فراح في غياب صاحبه إلى زوجه، وطلب إليها أن تريه النسخة لغرضٍ بدا له، فدفعتها إليه، وجعل يُقلِّبها مهتماً بأمرها، ثم استغفلها، فمزَّقَ بعض صور الكتاب، وجعلها في جيبه، وانصرف، فلما عاد صاحبُه ارتاب في مجيء صاحبه، وقلّبَ أوراق الكتاب، فرأى ما فعله، فرفع عليه قضيةً حكمت له فيها جمعية الكتب بألفَيْ جنيه تعويضاً، وقد راودت أحد هؤلاء

الغلاة يوماً نفسه أن يحرق مكتبته بعد أن زار مكتبة ابن لويز فيليب أحد ملوك فرنسا، إذ مزّق الحسد والطمع والغيرة أحشاء ذاك الرجل، بيد أنّ العريق في محبة الكتب الحقيقيّ هو محبُّ الآداب أيضاً وعضد المعارف، فيغتبط إذا ظفِرَ غيرُه بكتب لم يُسعدْهُ الحظُّ بمثلها، ويأمل أن يكون من ورائها مغنمٌ كبير للمطالعين والدارسين.

أمثلةٌ لا تُصدَّق في عشق الكُتب!

ومن غرائب هؤلاء العُشّاق غليوم بودي. قال إنّه اغتنم الفرصة يوم عُرسه، فمرّ بكتبه قبل أن يبنيَ بعروسه، ومع هذا رُزق بنينَ وبناتاً، وهو الذي يُروى عنه أن خادمه جاءه يوماً، وهو يلهث، فقال: إنّ لسان اللهيب أخذ يندلع على البيت، وكان أمام كتبه بالطبع، فأجابه: قل لزوجي! وهلّا تعرف أنّني لا أتدخل في أمور المنزل!

وكذلك كان أمر فردريك مورل من علماء فرنسا المشتغلين، وكان يبحث في أخبار ليبانيوس السفسطائي اليوناني، فجاءه رسول يقول له إن زوجته تريد أن تكلمه بضع كلمات، وكان يحبها حبّاً جمّاً، فقال له: دعني الآن أنظر هاتين الكلمتين، لكن المهلة التي طلبها طالت، فبعثت إليه برسول آخر قال له: إن زوجتك كادت تفارق الحياة، فحوقل، وامتدح منها، وردّد بعض مآثرها وسيرتها الصالحة، وعاد يغوص في بحر كتبه.

ومات القس كوجي حزناً لأنه أُكرِهَ على بيع كتبه. ويُروى مثل ذلك عن سكاليجر العالم الطّلياني وباترو الفقيه الفرنسي، فقد قال الأول: إن رُمت أن تُصاب بأعظم خطوب الأرض فبِعْ كتبك تلق الشقاء، ومن رام أن يجمع على رأسه ضروب البلايا صفقةً واحدة فما عليه إلا أن يبيع كتبه.

ورأى يعقوب غوبيل، من مشاهير فرنسا، مكتبته نهب أيدي الضياع والسلب في فتنة العصابات، فمات يائساً بائساً، وحزن العالم الكتبيّ دورافل الفرنسي حزناً لمّا رأى كتب الأبرشيّة تطفو على نهر السين، وكان يُقدِّر قيمتها حقّ قدرها لأنّه رتّبها وبوّبها.

واضطرّت الحاجةُ اللغويَّ برونك من ستراسبورغ، أن يبيع جانباً من مكتبته، واشتدّ حزنُه عليها، حتى كان إذا ذُكر أمامه مؤلّف اقتناه وباعه في جملة ما باعه، تنحدر عبراته على خدّيْه طوعاً كرهاً، ويقرب من ذلك ما فعله الكونت لابيدوير، فإنه توهّم أن كتبه أتعبته، فباعها، فما هو إلا يوم وليلة، حتى عاد يشتريها ثانية بكل مرتخص وغالٍ.

وحدث أنّ المستر بريان، وهبَ إحدى المكاتب مجاميع نفيسة من روايات نادرة، فلم تمضِ أيامٌ حتى عاد إلى

قـيِّـم المكتبـة يطلـب إليـه أن يـرى كتبـه، فأخـذ يُـحدِّق فيهـا، ويُصـوِّب في جلودهـا ويُصعِّـد، فظـن القـيِّـم أن صاحبـه ينـوي أن يسـترجع مـا وهـب، لكـنْ راح المسكين، فانتحـر بعـد يومـين.

وقـضى بيـترارك في مجلسـه، ولـمّـا اسـتبطأه أصحابـه أطلـوا عليـه، فوجـدوه ميتـاً، والكتـاب في حجـره. وكذلـك مـات الصحـافي أرمندبرتـين مديـر جريـدة الديبـا، وكان لـه مجاميـع مـن أجمـل القُنْيـات والكنـوز، ذكـروا أنـه مـات بـين كتبـه عقيـب وفـاة حليلتـه، فوجـدوه ماسـكاً بكتـاب كانـت هـي تُـحبُّه في حياتهـا، فجـاء المـوت، وهـو على هـذه الحال.

ومـات المؤلـف يعقـوب برونـه، وهـو عـلى كرسـيِّه وبـين كتبـه بعـد أن عُـمِّـر طويـلاً، ولا شـغل لـه غـير الـدرس والتبـحُّر، وقـضى الـجـمّـاعةُ موبلـلي منـذ نحـو نصـف قـرن، وكانـت مكتبتـه تسـاوي مئـة ألـف فرنـك، ولم يوجـد

عنـده مـن الدراهـم مـا يكفـي نفقـات دفنـه، ومـن عشّـاق الكتـب مـن سـقطوا عـن سـلالم مكاتبهـم، فقضـوا نحبهـم، ومنهـم المـؤرِّخ تيـودور مومسـان الألمانـيّ، ذهـب إلى خزانة كتبـه ذات يـوم، والشـمعة بيـده، فـسرى لهيبهـا إلى لحيتـه البيضـاء، وقـضى بعـد شـهر متأثـراً».

المحتوى

- المولدُ والنّشأة.......................................(٥)
- محمد كرد علي صحافيّاً..............................(١٥)
- محمد كرد علي والمجمع اللغويّ......................(٢٣)
- آثاره الفكريّة..(٣٧)
- محمد كرد علي وزيراً للمعارف......................(٥١)
- رحلاتُه...(٥٣)
- قالوا عن محمد كرد علي...............................(٥٩)
- وفاته..(٦٣)
- مقالة..(٦٧)

سراج أحمد الجراد، دير الزَّور، ١٩٧٣م.

- إجازة في الأدب العربيّ ١٩٩٤ .

- عضو اتّحاد الكُتّاب العرب، جمعيَّة أدب الأطفال.

- متخصِّص بأدب الأطفال (قصَّة - شعر- رواية- مسرح- سيناريو).

- نشر في عدد من الدَّوريّات العربيَّة والمحليَّة.

- يعمل مُدرِّساً للغة العربية.

- حصل على عدد من الجوائز الأدبية.

من مؤلفاته:

- أغاني ميسون، شعر أطفال، اتحاد الكتاب العرب ٢٠١٠ .

- حوريَّة البحر، مجموعة قصصيَّة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨.

- الأعمال الكاملة للشَّاعر محمَّد الفراتي، جمعاً وتحقيقاً وشرحاً وضبطاً، الهيئة العامَّة السّوريَّة للكتاب ٢٠٢٠م.

محمد كرد علي

أنشط أديب أطلعته دمشق في النصف الأول من القرن العشرين، ولو لم يكن له إلا تأسيس مجمع اللغة العربيَّة ورعايته، لكفاه فخراً، وإنَّ في كتبه التي تتداولها الأيدي ما يدلُّ على واسع علمه وموهبته في صناعة الكتب، أما معرفته بالمستشرقين وكتبهم فقد تكون آية من الآيات، وكان واسع الاطلاع على تاريخ الاستشراق والاستعراب، وهو أمّة في رجل، وقد أهّلته مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناة النهضة الحديثة وقادتها الكبار في بلاد العرب، وسيرته مثال رائع لمضاء العزيمة وخلوص النية وصدق العمل وحبّ الخير وإرادة الإصلاح.





www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب- ٢٠٢٢م

سعر النسخة ٢٥٠ ل.س أو ما يعادلها